

باب السنة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله
واله وصحبه ومن اهتدى بهداه. وبعد:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول
الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لا» لَكُنْ أَفْضَل
الجهاد حج مبرور»

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في أربعة مواضع من
صحيحه؛ في كتاب الحج في موضعين أولهما في باب فضل الحج
المبرور برقم (١٥٢٠)، وثانيهما في باب حج النساء برقم (١٨٦١)
وفي موضعين من كتاب الجهاد والسير أولهما في باب فضل
الجهاد والسير برقم (٢٧٨٤) وباب جهاد النساء برقم (٢٨٧٥)،
(١٨٧٦) كما أخرجه النسائي في كتاب مناسك الحج فضل الحج
برقم (٢٦٢٩)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك باب الحج جهاد
النساء برقم (٢٩٠١).

راوي الحديث

هي أم المؤمنين وزوجة النبي ﷺ أفقه نساء الأمة على الإطلاق،
عائشة بنت الإمام الصديق الأكبر، خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر
عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد
بن تيم بن مرة القرشية التيمية المكية النبوية، وأمها هي أم رومان
بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب الكنانية.

هاجر بعائشة أبواها، وتزوجها النبي ﷺ قبل الهجرة بعد وفاة
الصديقة خديجة بنت خويلد، عقد عليها وهي بنت سبع ودخل بها
في شوال سنة اثنتين بعد انصرافه من غزوة بدر وهي ابنة تسع
سنين.

فروت عنه ﷺ علما كثيرا طيبا مباركا فيه، وعن أبيها وعن عمر
وفاطمة وسعد وحمزة بن عمرو الأسلمي وغيرهم، وروى عنها خلق
لا يحصون.

مسند عائشة يبلغ ألفين ومئتين وعشرة أحاديث، اتفق لها
البخاري ومسلم على مئة وأربعة وسبعين حديثا، وانفرد البخاري
بأربعة وخمسين وانفرد مسلم بتسعة وستين، وعائشة ولدت في
الإسلام وكانت تقول: لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين.

قال الذهبي: وكانت امرأة بيضاء جميلة ومن ثم يقال لها:
الحمراء، ولم يتزوج النبي ﷺ بكرة غيرها، ولا أحب امرأة
حبها، ولا أعلم في أمة محمد ﷺ ولا في النساء

بين الجهاد والحج

إعداد زكريا حسيني

التوحيد

مطلقا امرأة أعلم منها، ونشهد أنها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة، فهل فوق هذا مفخر؟ قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: «أريتك في المنام ثلاث ليالٍ؛ جاء بك الملك في سرقة من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك فإذا أنت فيه، فاقول: إن يك هذا من عند الله يمضه» [متفق عليه].

أحبها النبي ﷺ حبا شديداً كان يتظاهر به بحيث إن عمرو بن العاص، وهو ممن أسلم سنة ثمان من الهجرة سال النبي ﷺ: أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: «عائشة» قال: فمن الرجال؟ قال: «أبوها» [متفق عليه]، وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان عليه السلام ليحب إلا طيباً وقد قال: «لو كنت متخذاً خليلاً من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام أفضل» فأحب أفضل رجل من أمته وأفضل امرأة من أمته، فمن أبغض حبيبي رسول الله ﷺ فهو حري أن يكون بغيضاً إلى الله ورسوله.

وكان الناس يتحرون بهداياهم إلى رسول الله ﷺ يوم عائشة، فاجتمعت أزواجه إلى أم سلمة وقلن لها كلميه في ذلك، فكلمته فسكت فلم يرد عليها فعدت الثانية فلم يرد عليها شيئاً، فلما كانت الثالثة قال: «يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها» [متفق عليه]، وهذا الجواب دال على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها.

شرح الحديث

قول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «نرى الجهاد أفضل العمل» أي نعتقد ونعلم فإنه بفتح النون من رأى القلبية بمعنى

«علم»، وذلك لكثرة ما يسمع من فضائله في الكتاب والسنة، فإنه قد ورد ذكر الجهاد في سبيل الله تعالى في القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا...﴾ [التوبة: ١١١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِي قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُجْنِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٠-١٢] وقبل هذه الآيات في السورة نفسها قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَنِيانَ مَرْصُوعٍ﴾ [الصف: ٤] وغير ذلك من الآيات التي تحض على الجهاد في سبيل الله تعالى وتبين فضله.

وأما في السنة فإن الأحاديث التي وردت في الجهاد وفضله كثيرة أيضاً، منها حديث ابن مسعود: قلت يا رسول الله، أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على ميقاتها» قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» [متفق عليه] ومنها حديث عائشة هذا الذي معنا، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد، قال: «لا أجده». قال: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم فلا تفطر؟»

عائشة أم المؤمنين وأفقها

كانت عائشة أم المؤمنين امرأة بيضاء جميلة ومن ثم

فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي

ولا سمعة ولا رفث ولا فسوق، وكانت النفقة فيه من المال الطيب، وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «الحج المبرور إطعام الطعام وحسن الصحبة، وعن ثور بن يزيد قال: من أم هذا البيت ولم يكن فيه ثلاث خصال لم يسلم له حجه؛ من لم يكن له حلم يضبط به جهله، وورع عما حرم الله عليه، وحسن الصحبة لمن صحبه.

وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ: ما برُُّ الحج؟ قال: «إطعام الطعام وطيب الكلام» رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن وقال رجل للحسن يا أبا سعيد ما الحج المبرور؟ قال: أن يدفع زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، ويدفع أي يرجع من حجه.

والحج المبرور جزاؤه الجنة، فقد صح عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» أخرجه البخاري ومسلم ومالك في الموطأ وأحمد في المسند والنسائي وابن ماجه وغيرهم.

قال أبو عمر بن عبد البر وأما قوله: «الحج المبرور» فهو الحج المنتقل والله أعلم، وعن أبي هريرة: الحج المبرور يكفر خطا تلك السنة. قال: وإنما تكون الجنة جزاء لمن غفر له وثقلت موازين حسناته، وتجاوز الله

قال: ومن يستطيع ذلك؟ قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد ليستن في طولته فيكتب له حسنات. متفق عليه، ومعنى فيستن في طولته: أي يمرح ويتحرك في حبله الذي يربط به في المرعى، ومن ذلك أيضاً حديث أبي سعيد رضي الله عنه: قيل يا رسول الله: أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: «مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله» قالوا: ثم من؟ قال: «مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره» متفق عليه. ومنها حديث أنس «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها» متفق عليه وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي تبين فضل الجهاد في سبيل الله تعالى.

فلما نظرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع غيرها من النساء بل من المؤمنين عامة إلى الجهاد فأروه أفضل الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى؛ فكل منهم يحدث نفسه بالجهاد ويتمناه لنفسه رجالاً ونساءً وصغيراً وكبيراً، لذلك قالت عائشة رضي الله عنها ما قالت وتمنت أن يأذن رسول الله ﷺ لها ولغيرها من النساء في الجهاد في سبيل الله، ولكن لما كانت المرأة لا تتحمل المشاق ولا تستطيع أن تثبت أمام العدو ولا تطيق من العمل إلا الأجل والأحسن دلها رسول الله ﷺ على هذا الأحسن والأجمل والأليق بهن والأنسب لهن ولرقتهن ونعومتهن، فقال ﷺ: «لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج: حج مبرور» كما جاء في رواية لهذا الحديث في كتاب الحج باب حج النساء.

الحج المبرور

وأما قوله ﷺ: «حج مبرور»: فالحج المبرور قيل: هو الذي لا رياء فيه

نساء الأمم على الإطلاق

يقال لها الحميراء ولم يتزوج النبي بكراً غيرها

وراء حب الرسول صلى الله عليه وسلم لها

عن سيئاته، وقد صح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه» متفق عليه.

التناسب بين الجهاد والحج

ليس عجيباً ولا غريباً أن يسمى النبي ﷺ الحج جهاداً لأن بين الجهاد والحج تناسباً شديداً فكلاهما عبادة بدنية مالية، يبذل في كل منهما المال والنفس، وفي كل منهما مشقة بدنية من سفر وصبر على المتاعب، وترك للأهل والمال والولد والوطن والأحباب والخلان، ويطلب لكل منهما التوبة قبل البدء، والتحلل من المعاصي ورد المظالم إلى أهلها.

ولقد جاءت آيات القتال في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنه لا يحب المعتدين﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ [البقرة: ١٩٠-١٩٤] وبعدها جاءت آيات الحج من قوله تعالى: ﴿واتموا الحج والعمرة لله...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون﴾ [البقرة: ١٩٦-٢٠٣] وتوسطت بين آيات

القتال وآيات الحج أية الإنفاق وهي قوله تعالى: ﴿وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة: ١٩٥] فكان الآية تتعلق بما قبلها في الحث على الإنفاق في سبيل الله تعالى وعتد الإلقاء بالنفس إلى الهلكة والأمر بالإحسان، ولا بأس أن تتعلق بما بعدها فيكون ذلك الإنفاق وعدم إلقاء النفس في التهلكة والأمر بالإحسان في الحج أيضا فكلاهما يقتضي هذه الأمور، وإن كان سبيل الله إذا أطلق فإنما يراد به الجهاد في سبيل الله تعالى، لكن الرسول ﷺ سمى الحج جهاداً في هذا الحديث وغيره من الأحاديث فحينئذ يمكن أن يكون الإنفاق في الحج في سبيل الله تعالى، وعد الإلقاء بالنفس إلى التهلكة أيضا مطلوب في كل من الجهاد والحج، كما أن الإحسان مطلوب في كل الأعمال ولا سيما الجهاد والحج.

ولكن لما كان الجهاد لا تتمكن فيه المرأة من التستر اللازم لها والمناسب لطبيعتها عدل بها الرسول ﷺ إلى الجهاد الذي لا قتال فيه ولا شوكة وهو الحج والمرأة في الحج مهما كان فيه من سفر وسعي ومجاهدة وصبر ومشقة تتمكن فيه من الستر اللائق بها وبطبيعتها.

نسال الله تعالى أن يلهمنا والمسلمين الرشد، والفقه في الدين وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.